

إذا أردنا فهم الآخر يجب أن نترك الأنانية والخوف جانبا

الغريبة ليست نزوعا فطريا بل هي معيار أخلاقي

في حمى ردود الأفعال المتشججة على مقتل المدرس الفرنسي، يكثر الحديث الآن في فرنسا عن الآخر، المختلف عرقيا وثقافيا وعقديا، ولكنه ينزاح إلى اختلاف آخر أيديولوجي بين العرق الواحد، لا يقل حدة عن الأول، ما يؤكد أن الآخر يمكن أن يحمل نفس مقوماتنا الحضارية. فهل الجحيم هو الآخر كما قال سارتر؟

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

ونصمه بما ليس فيه، وهو ما لاحظته ميرلو بونتي في "فينومينولوجيا الإدراك" حين وصف الآخر، أي ما يكن عرقه وجنسه، بأنه قلعة محصنة، نتوهم عن بعد أنه عنيف وغامض وعصي على الفهم.

ورغم هذه المسافة بين الذات والآخر، فإننا نولي اهتمامنا لنظرة الآخر. في "الكينونة والعدم" مثلا، يبين سارتر كيف أن نظرة الآخر ترغمنا على أخذ حضوره بعين الاعتبار، لأن نظرتنا تلك قد تكيف سلوكنا على نحو ما. وإذا أظهر الآخر عدوانية ما، فذلك يبسر الحكم عليه، ولكن دون تعميم سلوكه على سائر بني جنسه. وإذا كان مسالما، يعيش حياته بشكل طبيعي دون أن يختلط بمن خالفه من جهة الثقافة والمعتقد، فإنه قد يغزو أيضا مثيرا للقلق، بالمعنى الفلسفي، أي أنه قد يثير الحيرة والاشغال وربما الخوف، ومن ثم المعادة، الكامنة أو السافرة.

والطريف أن تلك النظرة التي تخفي هي ضرورية للفرد كي يتثبت من أن العالم الخارجي ليس وهما وأن حواسه لا تخطئ.

يقول ميشيل توريبي على لسان بطله روبنسون كروزو حين بدأ بيقينه بالواقع ينهار "ضد الخداع البصري، والسراب، والهلوسة، وحلم اليقظة، والاستيهام، والهذيان، واضطراب السمع.. فإن السور الأكثر ضمانا لنا هو أخونا، جارنا، صديقنا أو دوننا، ولكن شخص ما أنتها الآلهة، شخص!"

فحتى وهو وحيد في جزيرة خالية، كان روبنسون يدرك أنه لا يستطيع أن يعيش دون حضور إنسان آخر، ما جعله يهرب إلى ذاكرته ليؤثث حاضره بالوجوه التي اخترنتها ذكرياته منذ سن الطفولة. أي أن الآخر ضروري، فإن كان غير موجود، استحضرنه وأعدناه إلى الحياة، وجعلناه يتساطرنا ولو لحظة من يومنا أو ليلنا، درءاً للوحدة.

الذات والآخر

إذا كان الآخر يخيف، فإلأنه يظل متمنعا عن المعرفة، أي أننا إذا اخترنناه في ما نلمحه من سلوكه ومظهره الخارجي، فذلك دليل على أننا لا نملك إلا أن نفترض فقط ما هي حقيقته، فنضفي عليه أشياء قد لا تنطبق عليه،



الآخرون ليسوا جحيفا (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

صراعات الاعتراف تلك هي التي تحدث عنها أكسيل هونيت، مدير مدرسة فرانكفورت الحالي، بوصفها صراعات فئات اجتماعية لم تتوصل السلطات إلى إدمانها داخل المجتمع بشكل إيجابي، إما عن أنانية، أو خوف، أو رفض منحها نفس الحقوق القانونية والاجتماعية التي يتمتع بها الآخرون، بسبب الاسم أو الهندام أو لون البشرة، فالمختلف ضاريا قد يغدو مختلفا في المطلق بصرف النظر عن اعتناقه جنسية البلد المضيف، فيأخذ المهاجرون وأبناءهم وجه الآخر، وهو الوجه الذي يستغل لشيطنة الاختلاف في الخطاب العنصري.

ومن ثم وجب على الدولة الراعية مقاومة الإقصاء، كوجهه سلبي للاعتراف الاجتماعي، لإدماج الأفراد في المجتمع بطريقة تراعي اختلافهم، دون أن تجعله محمدا لهم لا ينظر إليهم إلا من خلاله. على أن يكون الاعتراف مشفوعا بحقهم في الحياة كسائر مكونات المجتمع، والتعبير عن آرائهم ومواقفهم بحرية، في نطاق القانون.

أما على المستوى الفردي، فيمكن أن ننظر إلى الغريبة لا كنزوع فطري، بل كمعيار أخلاقي، فالواجب الأخلاقي كما يرى كانت هو ثمرة اختيار فردي عقلائي، وليس قاعدة مفروضة. لأن المشكلة الإنسانية الأساسية كما بين أوغست كونت، مبتكر مصطلح الغريبة، هي أن يسعى الفرد تدريجيا ل جعل اجتماعيته مقدمة على المصلحة الأناانية.

شائبة، فالإنسان بطبعه ذنب للإنسان على رأي هوبز، ما يجعل قيام سلطة سياسية تفرض السلم والأمن، حتى يتمكن الأفراد من إقامة مجموعة يعيش داخلها الأفراد والفئات في ظل قانون واحد يوحدهم برغم الاختلافات التي تميزهم منذ الولادة.

ولكن قد يكون الآخر خارج تلك الفئات وتلك المجموعة البشرية، ما يجعل الشك والنفور ثم العداة ممكنا تجاه من كان خارج تلك المجموعة، على رأي فرويد الذي يقول في "ضيق الحضارة" إن الروابط الودية التي تنشأ داخل فئمة اجتماعية قد تولد عدوانية أكبر تجاه الأجانب، ولذلك ينصح بضرورة إيجاد حلول لدمج أولئك الأجانب، إذا راموا الانخراط في المجموعة، والاعتراف بهم.

ينطبق ذلك على الفرد، مثلما ينطبق على الجماعة، فنحن في حاجة إلى الآخر، إما لاستكمال ذاتنا وتحديد هوياتنا، وإما لتلبية أغراض ما كنا لنقدر على إنجازها من دونه. كذلك الشأن مع الدول التي تستقدم الأجانب، فهي تحتاج إليهم لتتسيط دورتها الاقتصادية، وتأمين سيرها ونموها، ولكنها في الوقت نفسه تواجههم بعداء مضمرب يتبدى من خلال التمييز في التعامل معهم، في شتى مجالات الحياة، أو بعداء سافر تنهض به فئات مجتمعية تدعي رفض الآخر.

صراعات الاعتراف

لئن كان صحيحا أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فإن ذلك لا يعني أن العلاقات بين البشر سليمة لا تشوبها امتدادات المجتمع الجزائري وخفاياه ومشاكله. ويروي فيلم "أبو ليلا" لأمين سيدي بومدين غزوة لطفي واحد أصدقاء طفولته وهما يقطعان الصحراء بحثا عن الإرهابي الخطير "أبو ليلا".

ويعالج فيلم "أحمر" لفريد بن تومي و"إبراهيم" لسمير قاسمي العلاقات الصعبة بين الوالدين والأبناء في حين يطرح فيلم "أخوات" ليمينة بن قبيق أسئلة حول علاقة البلدان الأصلية ببلدان الاستقبال، في حين يروي فيلم "أ دي إن" لمايوين لوبيسكو علاقة جد جزائري بحفيدته.

وتشارك في المهرجان 3 أفلام تونسية هي "الرجل الذي باع ظهره" لكورث بن هنية و"نورة تحلم" لهند بوجمعة و"ابن" لمهدي برصاوي، والفيلمان المغربيان "ادم" لمريم توزاني و"معجزة القديس المجهول" لعلاء الدين علج. كما يشارك كل من "تستحق حيا" لأبوبكر شوقي (مصر) و"غود مورنينغ" ليهيج هيجج (لبنان) و"9 أيام بالرقعة" لأمجد أبوعائلة (السودان).

ويذكر أن مهرجان الفيلم الفرنسي - العربي "نوازي لو سيك" تأسس في 2011 ويهدف إلى "مد جسور بين الثقافات من أجل تعزيز التفاهم والتعرف على الآخر وكذلك تشجيع التبادل الفني والثقافي". ويساهم المهرجان في إلقاء نظرة من خلال السينما على العالم العربي، وخاصة شمال أفريقيا، ما يساعد على مد جسور تواصل تلغي الاضطراب الواقع في فرنسا اليوم، وتؤسس إلى علاقات أفضل من خلال الفن الذي يمكنه تخطي كل الحواجز الأيديولوجية والعقائدية وحتى التاريخية وغيرها.

علاقات الشباب بأبائهم وبلدانهم قضايا

تناقشها أفلام مهرجان الفيلم الفرنسي - العربي

باريس - كشف منظمو مهرجان الفيلم الفرنسي - العربي "نوازي لو سيك"، الذي ينتظم من 6 إلى 17 نوفمبر المقبل بباريس، أن العديد من المخرجين العرب سينشرون في الدورة الجديدة.

وتتميز هذه الدورة من المهرجان بمشاركة جزائرية وازنية، حيث نجد عددا هاما من أبرز المخرجين الجزائريين وفرانكو - جزائريين.

وينشارك في هذا المهرجان 16 فيلما روائيا، منها 6 لم يسبق عرضها، و11 وثائقيا. ومن أبرز الأفلام نجد الأعمال الجزائرية "مناظر الخريف" للمخرج سزاق علوش و"باركور" للمخرجة فاطمة الزهراء زعموم و"أبو ليلا" لأمين سيدي بومدين و"أحمر" لفريد بن تومي

ويقدم فيلم "مناظر الخريف" لمرزاق علوش قصة مثيرة سياسية واجتماعية عن الجزائر بينما يفضح فيلم "باركور" لفاطمة الزهراء زعموم في قالب فكاهي



أبو ليلا، فيلم جزائري يتمور حول قضية الإرهاب

«رعشة شغف» رواية

تنتمي إلى الأدب النفسي

دمشق - تنتمي رواية الدكتور إسماعيل مروة الصادرة مؤخرا بعنوان "رعشة شغف" إلى نمط الأدب النفسي الذي يعنى بوجود الإنسان والصراعات داخله، أكثر من اعتناقه بالحدث ومتابعة تفاصيله.

ونجد في هذه الرواية احتفالا كبيرا من المؤلف باللغة الشعرية، ولكن مروة يجعلها أداة تساعد في الترميز لجملة من الأمور التي تمس حياة الإنسان وعلاقاته مع الآخرين وتأثير البيئة الاجتماعية والانتصاء، لذلك نقرأ في الرواية عن تلك العلاقة الجميلة التي جمعت بين البطلين أدهم وشغف.

ويظهر الرمز في "رعشة شغف" منذ اختيار اسم أدهم بطلا للرواية، كناية عن آدم أبو البشر كما فعل نجيب محفوظ في أولاد حارتنا، واسم شغف للمرأة، لما فيه من مكونات تتصل بما توطنه الأنثى من مشاعر حولها، وبأن الشغف هو إحدى درجات الحب العليا كما صنفه ابن حزم، ذلك سنجد أن البطلين اللذين

ويشارك في المهرجان 3 أفلام تونسية هي "الرجل الذي باع ظهره" لكورث بن هنية و"نورة تحلم" لهند بوجمعة و"ابن" لمهدي برصاوي، والفيلمان المغربيان "ادم" لمريم توزاني و"معجزة القديس المجهول" لعلاء الدين علج. كما يشارك كل من "تستحق حيا" لأبوبكر شوقي (مصر) و"غود مورنينغ" ليهيج هيجج (لبنان) و"9 أيام بالرقعة" لأمجد أبوعائلة (السودان).

ويشارك في المهرجان 3 أفلام تونسية هي "الرجل الذي باع ظهره" لكورث بن هنية و"نورة تحلم" لهند بوجمعة و"ابن" لمهدي برصاوي، والفيلمان المغربيان "ادم" لمريم توزاني و"معجزة القديس المجهول" لعلاء الدين علج. كما يشارك كل من "تستحق حيا" لأبوبكر شوقي (مصر) و"غود مورنينغ" ليهيج هيجج (لبنان) و"9 أيام بالرقعة" لأمجد أبوعائلة (السودان).

ويشارك في المهرجان 3 أفلام تونسية هي "الرجل الذي باع ظهره" لكورث بن هنية و"نورة تحلم" لهند بوجمعة و"ابن" لمهدي برصاوي، والفيلمان المغربيان "ادم" لمريم توزاني و"معجزة القديس المجهول" لعلاء الدين علج. كما يشارك كل من "تستحق حيا" لأبوبكر شوقي (مصر) و"غود مورنينغ" ليهيج هيجج (لبنان) و"9 أيام بالرقعة" لأمجد أبوعائلة (السودان).

ويشارك في المهرجان 3 أفلام تونسية هي "الرجل الذي باع ظهره" لكورث بن هنية و"نورة تحلم" لهند بوجمعة و"ابن" لمهدي برصاوي، والفيلمان المغربيان "ادم" لمريم توزاني و"معجزة القديس المجهول" لعلاء الدين علج. كما يشارك كل من "تستحق حيا" لأبوبكر شوقي (مصر) و"غود مورنينغ" ليهيج هيجج (لبنان) و"9 أيام بالرقعة" لأمجد أبوعائلة (السودان).

ويشارك في المهرجان 3 أفلام تونسية هي "الرجل الذي باع ظهره" لكورث بن هنية و"نورة تحلم" لهند بوجمعة و"ابن" لمهدي برصاوي، والفيلمان المغربيان "ادم" لمريم توزاني و"معجزة القديس المجهول" لعلاء الدين علج. كما يشارك كل من "تستحق حيا" لأبوبكر شوقي (مصر) و"غود مورنينغ" ليهيج هيجج (لبنان) و"9 أيام بالرقعة" لأمجد أبوعائلة (السودان).

ويذكر أن الرواية من إصدارات الهيئة العامة السورية للكتاب، وتقع في 184 صفحة من القطع المتوسط. أما الدكتور إسماعيل مروة فهو من مواليد موريا سنة 1963 حاصل على دكتوراه في الأدب يعمل رئيسا للشؤون الثقافية في جريدة الوطن، له مؤلفات عديدة في الرواية منها "معاور الجاهلية" وفي القصة "توقيعات على مقام شامي"، كما أسهم في مشروع ندوات ضمن أنشطة وزارة الثقافة التي صدرت في كتب توثيقية جاوزت 30 كتابا.